Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وما زال ضاحي البر يضرب أهله بسوطي عذابٍ جامِد بعد ذائب
ألا رب نار بالفضاء اصطليتها من الضّح يودي لفحها بالحواجب
إذا ظلت البيداء تطفو إكامُها ويرسب في غمر من الآل ناضب
فدع عنك ذكر البر إني رأيته لمن خاف هول البحر شَرَّ المهاوب
إلى أن وقاني الله محذورَ شره بعزته، والله أغلب غالب
فأفلتُّ من ذؤبانه وأسوده وَحُرَّابِهِ إفلاتَ أتوب تائب

بعد وصول القصيدة إلى ذروتها يلجأ صاحبها إلى باب آخر (وصف ويلات الترحال على البر) من أجل وصف ويلات السفر على الماء. هنا هو يستفيد من نبرات مضحكة لا تكليف فيها تتباين تبايناً فاقعاً مع الأجزاء السابقة واللاحقة، إذ يتحدث عن العاصفة وعن كارثة السفينة:

وأما بلاء البحر عندي فإنه طواني على روع مع الروح واقب
ولو ثاب عقلي لم أدع ذكر بعضه ولكنه من هوله غير ثائب
ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرة لوافيت منه القاع أول راسب
ولم أتعلم قط من ذي سباحة سوى الغوص، والمضفوف غير مغالب
فأيسر إشفاقي من الماء إنني أمر به في الكوز مر المجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب فكيف بأمنيه على نفس راكب

وبعد هذا المقطع «الانتقالي» تأتي تلك الطريقة التكوينية ـ تصعيد الصور المبالغ فيها، حيث تمتزج المفردات «الرفيعة» مع «الوضيعة» وتختتم القصيدة ببيت يذكر بأسلوبه بالزهديات.

أرى المرء ـ مذ يلقى التراب بوجهه إلى أن يوارى ـ رهن النوائب
ولو لم يُصَب إلا بشرخ شبابه لكان قد استوفى جميع المصائب

لنقارن الخصوصيات البنيوية والأسلوبية للبائية بقصيدة ابن هانىء